

تقديم

يتمثل أسلوب العلاج بالدراما "Drama Therapy" في استخدام المسرح كنوع من أنواع العلاج النفسى يقوم على تطبيق فنيات علم النفس العلاجى، والتمثيل الحركى والانفعالى للمواقف والأدوار الواقعية للشريحة المستهدفة، ويعتمد على التفاعل الجماعى، كما يستخدم طرقاً تعتمد على الطاقة الإبداعية والتنفيس الانفعالى داخل هذه المجموعة لتحقيق عملية العلاج أو التغيير، ويعتمد جو المجموعة على المساندة والتشجيع والديناميكية فهو أسلوب أبعد من مجرد عملية الفحص والعلاج التقليدى، حيث تقدم العملية سبيلاً إبداعياً بعيداً عن "الروشتات"، والملفات، والنظريات الجاهزة، ويركز على الروابط اللاشعورية مع المريض، والاستبصار الواعى بالاستجابات التى تظهر من خلال هذا التفاعل الذى ينشأ من مفهوم أننا جزء من منظومة حياتية عامة يشترك معنا آخرون على اختلاف مذاهبهم وحياتهم.

ولقد اجتهد الباحث - كعاداته دائماً فى أبحاثه العلمية، وفى أعماله الأدبية والفنية - فى رصد أساليب العلاج بالدراما، سواء على المستوى اللاشعورى (السيكودراما) "مسرحة التحليل النفسى" كما جاءت عند مورينو Moreno (١٨٨٩-١٩٧٤)،

أو المستوى الشعوري كما يظهر في المسرح، والسينما، والتلفزيون، مع التركيز على مسرح الطفل وإظهار أهميته الكبرى في المساعدة على النمو النفسي للطفل في جميع جوانبه (عقلياً - انفعاليّاً - اجتماعيّاً - جسميّاً) فهذا الكتاب يقدم دراسة علمية جادة في استخدام الدراما في العلاج النفسي للطفل والارتقاء بالعملية التربوية.

الدكتورة

أمينة محمد مختار

أستاذ الصحة النفسية - جامعة بنها

مقدمة

ثلاثون عامًا ونيف أنفقتها في مهنة التعليم، سواء التعليم الجامعي، أو التعليم قبل الجامعي.. وأذكر وأنا في أيامي الأولى في هذه المهنة، وكنت في مدرسة للغات، أذكر أن دخلت على طالبة من القسم الثانوي، لكن من يشاهدها يتصور أنها تلميذة في المرحلة الابتدائية، وذلك لكونها حطيئة لا تشغل من اهواء إلا حيزًا ضئيلاً.. لا تلمح منها إلا وجهًا صغيرًا ركب على جسد صبي نحيل، لكن في هذا الوجه الصغير عينًا شابة بمعنى الكلمة وما في الكلمة من معنى الشباب... قالت: مستر.. قلت: نعم.. قالت: أسمح أن أكون نسناستك؟!.. قلت: بمعنى؟!.. قالت: إنني أحب أبي وأبي يحبني.. وينادينني بهذا الاسم "نسناستي".. قلت: سمحت.. وبعد.. قالت: أخبرني عن نون الوقاية؟.. وشرحت لها نون الوقاية.

.. فقد كانت المدرسة وهي مدرسة للغات مستوى العربية فيها ليس بمستوى اللغة العربية بالمدارس الحكومية. ومع مرور الأيام أصبحت هذه الحطيئة ابنة لي.. ويا ألمي عندما عرفت بأحوالها ومجتمعها، فقد كانت تعيش على أطراف الحى الأرستقراطي، وكان هؤلاء البشر الذين عاشوا على هذه الأطراف - قبل أن يمتد العمران وتصبح هذه الأطراف في صلب هذا الحى - هؤلاء الذين عاشوا في هذه الأطراف أغلبهم من البسطاء ومن العاملين في بعض المنشآت القريبة من الحى.. إلا أن أولاد هؤلاء البشر زاملوا أبناء الحى الأصليين في مدارسهم.. حدث ذلك مع التغيير الذى جاءت به ثورة يوليو ١٩٥٢م.

عاش الأولاد والبنات في المدارس، وشاهدوا.. وتطلعوا.. وعانوا.. من فجوة التنشئة بينهم وبين أبناء الأرستقراطية العريقة.. وشعروا بالدونية داخلهم.. فلذا أضفت "لنسناستي" الحساسية المفرطة.. وفقدان الحب منذ طفولتها المبكرة.. والظروف والمآزق الاقتصادية بسبب الأب، والذي حملت الفتاة عقدته (عقدة الكترا)، إلا أنه سقط أمام عينيها سقوط البطل الأسطوري التراجيدي، فتحولت إلى البديل (الصبي الشقيق الوحيد لها بعد الشقيقات الإناث).. والذي يتقارب في خصاله مع خصالها، وإن كانت خصاله تحمل ذكورية، فالضعف والاعتمادية عنده مع الطيش، دفعته لأن يعيش كما يقولون (بالفهولة)..... وينزلق في مشكلات كثيرة..... و..... وزاد (العُصاب)، واستفحل الداء عند (نسناستي)، وكنتُ في ذلك الوقت أساعد تلاميذى نفسياً بالموسيقى.. ولكن لم أستطع أن أنجح معها بهذا العلاج، بسبب ارتباط الموسيقى في ذهنها ووجدانها بهذا الأخ الذي يدعى أنه موسيقار..... و..... وانتقلتُ من المدرسة...

ودارت الأيام ومرت.. وإذا بجرس التليفون يدق في منزلي ليلاً وإذا المتكلم عضو بمجلس الشعب بدائرة عملي وقتها وكنت موجهًا أول بالإدارة التعليمية.. رفعت السماعه فسمعت : السلام عليكم.. قلت : وعليكم السلام.. قال المتكلم : أنا (.....) عضو مجلس الشعب.. قلت : مرحبا.. قال : أريد مقابلتك في أمر مهم.. قلت : تفضل..

وحضر ويده كشف بأسماء طلبة تم فصلهم من مدرستهم الثانوية.. فقلت : حضرتك.. أنا لست إداريًا، وليس من صلاحياتي فعل شيء لهم.. قال : قدمت إليك لأنني حضرت حفلاتك المسرحية بالإدارة التعليمية وشاهدت زوارك من النجوم والإعلاميين الكبار.. وشاهدت حظوتك عند القائمين على أمر التعليم... وهؤلاء الطلبة في حاجة للاحتضان والعلاج أكثر من احتياجهم إلى الذبح بالفصل، ففي الفصل من المدرسة نهاية لهم.. وقد استشرت قبل الاتصال بك كثيرًا من

أصدقائك وضيوفك الذين تعرفت بهم في حفلاتك ومهرجاناتك المسرحية. وكلهم أكدوا لي أن عندك حلاً لهذه المشكلة، ولا أخفيك سرّاً أنني توسّطت أكثر من مرة لهم وأعدت قيدهم في المدرسة وأخجل أن أطلب إعادتهم من المسئولين مرة أخرى، لكنني أعلم أنك ستجد وسيلة لإعادتهم وانتظامهم مع إصلاحك لما اعوج من سلوكهم.

وفكرت أيضاً في استخدام العلاج النفسي بالموسيقى معهم، إلا أنني وجدته غير ممكن، فلا أدوات بالمدارس، ولا...، ولا...، ففكرت وفكرت.. وكنت قد توسّطت لعودتهم مع إعطاء وعد بأنني مسئول عنهم.. وكانت مشكلة بالنسبة لي.. وفي جلسة مع الصحفية الكبيرة الأستاذة / أمينة السعيد - رحمه الله - وكنتُ في معية الأستاذة الصحفية الكبيرة / سلوى جمجوم أشارتا علىّ بأن استخدم العلاج السيكيودرامى مع هؤلاء الطلبة، وأيد هذه الفكرة مجموعة من الأصدقاء الفنانين المترددين على صالون الناقدة الفنية الأستاذة / سلوى جمجوم كالأساتذ / سعد عبد الوهاب - رحمه الله - و أ.د. / ماجدة صالح فنانة البالية الأولى والعميدة السابقة لمعهد البالية وكانت وقتها أول رئيس للأوبرا الجديدة، وغيرهم كثير، وأصبحت الفكرة مكتملة الأركان في ذهني وبدأت التنفيذ، ووفقني الله في تعديل سلوك هؤلاء الطلبة المشاغين فعلاً بالسيكيودراما فانخفض عدوانهم بشكل واضح وجلى، بل إنهم حققوا تقدماً لافتاً للنظر في مجموع درجاتهم في الثانوية العامة في ذلك العام، وقد التحق هؤلاء الطلبة جميعاً بكلّيات القمة.. وتخرجوا فيها.

أعود إلى الورا قليلاً فإنني مع بداية التجربة ونجاحها.. فكرت أن أقدم دراستي لنيل درجة الدكتوراه في الصحة النفسية في هذا الموضوع، وذهبت لاستشارة الأصدقاء المسرحيين والنفسيين، وكلهم شجعوني لاختياري هذا الموضوع وسمعت وعوداً كثيرة بمساعدتي في الحصول على مراجع كثيرة في السيكيودراما وسهل لي الجميع المهمة.. ولكنني عانيت الأمرين.. وكانت

دراسة!!!... وكان بحثاً أضناني.. فلم تكن هناك دراسات كثيرة بالمكتبة العربية.. والمراجع الأجنبية قليلة شحيحة.. وكنتُ يومياً في مكتبة السفارة الأمريكية.. ومكتبة الجامعة الأمريكية بالقاهرة.. وغيرها.. وغيرها.

وكان الإشراف على البحث لأستاذتى الأستاذة الدكتورة / أمينة مختار وهى مرجع فى الإنجليزية بحكم دراستها، وبحكم كونها حرم سفير جابت معه أقطار الأرض، وهى محبة للإتقان وترى فى أننى يمكن أن آتى بالمستحيل.. وأنا (درعى)* الهوى واللسان.. نعم أعرف الإنجليزية.. ولكن هى تطلب منى أن أكون فى الإنجليزية على نفس مستوى فى اللغة العربية.. وهيات.. هيات، فالأستاذة الدكتورة / أمينة مختار.. هى عنوان الكمال.. ولا تقبل من مثلى إلا الكمال.. لذلك قالت لى بالحرف الواحد: "الكمال التام أو الموت الزؤام".. وقالت: "وأنا أعلم أنك قدّها".. وكان والحمد لله.. وأشكر فضله أن أنعم علىّ بنعمة قبول الأستاذة الدكتورة / أمينة مختار الإشراف على رسالتى.. فمن دونها ومن دون إصرارها ما ظهرت هذه الدراسة بهذا التميز.. فهى أول دراسة عربية عن العلاج النفسى بالمرح المدرسى.. هذا المسرح الذى حار فيه "المصطلح العلمى" وهو أول خطوات البحث العلمى، بل إن أول المنطلقات هى تحديد المصطلحات.. ووجدت نفسى بين من يطلق عليه (التربية المسرحية) كما يسمى بوزارة التربية والتعليم، أو (المسرح التعليمى) كما يسمى فى كليات التربية النوعية بأقسام المسرح بها، أو (المسرح المدرسى) وهذا ما اخترته فى أبحاثى العلمية للمسرح فى المدارس.

والحقيقة أننى تعرفت بالمسرح أول ما تعرفت عليه وعشقتة بمدرستى الأولى، بعدها انحسر المسرح فى المدارس واختفى. ومع جمع من فنانى مدينتى أقمنا فرقة خاصة للتمثيل، وكنا نقوم أحياناً بعمل عروض مسرحية للمحليات، وتقوم

• حيث إننى حاصل على ليسانس من كلية دار العلوم - جامعة القاهرة - ودراسات عليا فى اللغة العربية (دبلوماسى فى طرق تدريسها)، هذا بجانب دراساتى فى المسرح، والموسيقى، وعلم النفس.

المحليات بالإتفاق عليها لعمل احتفالات أعياد الثورة، والأعياد القومية المختلفة، وهذا قبل أن نوفق في السعى لإقامة (بيت للثقافة الجماهيرية) الذى تلاه (قصر للثقافة الجماهيرية) وهو الموجود الآن بمدينتى .. وشاركنى مجموعة من هواة الفن أصبحوا بعد ذلك أعلامًا ونجومًا فى سماء الفن المصرى بدرجة امتياز، كالفنان المخرج / فهمى عبد الحميد - رحمه الله - وشاعر الفصحى و الشاعر الغنائى الأستاذ / فائز جعفر... وغيرهم كثير كثير.

وتم التحول الأكبر وأنا على عتبات الشباب الأولى عندما ذهبت للتعرف ومشاهدة بروفات مسرحية (بستان الكرز) لعملاق المسرح المصرى والعربى المخرج والشاعر المسرحى والممثل / نجيب سرور، وقد كان زميلى الأستاذ / مدحت حسن - ابن خالة أو خال له على ما أذكر -... ذهبت معه لتبدأ تجربة السباحة فى محيطات المسرح على يد هذا الرائد العبقرى الذى لم ينل حقه فى المحروسة... برغم أنه يساوى فى العربية ما يساويه شكسبير فى الإنجليزية.. لكن ماذا أقول؟؟؟!!!

وداومت على حضور بروفات (بستان الكرز) فى (مسرح الجيب)، وكنتُ سعيدًا جدًا بصداقتى بالنجمة الصاعدة وقتها الفنانة الكبيرة بنت مصر الأستاذة / سهير المرشدى، والتى كانت لا تزال طالبة بالسنة الرابعة بمعهد الفنون المسرحية.. وتوالى حضورى لمشاهدة مسرحيات / نجيب سرور (الطاحونة)... .. وكثير من أعمال هذا الفنان العبقرى...

كل هذا لكنى أهمس فى أذنك بأننى منذ الطفولة، وأنا أفكر فى قوله عز وجل فى سورة يوسف : ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ ﴾ .. يا الله سبحانه.. للدراما جاذبية.. للدراما مسالك ودروب إلى وفى النفس الإنسانية.

وإن الرحلة كانت مع الدراما طويلة.. وبين زمن النساسة الفاسقة ، وزمن الطلبة المشاغبين كان مشوارى مع العلاج النفسى بالموسيقى، والعلاج النفسى بالدراما... وأستمر إلى اليوم.

المؤلف د. / عبد الفتاح نجله

القناطر الخيرية إبريل ٢٠٠٩

Dr.Nagla@hotmail.com

Nagla_Dr@yahoo.com

• عندما صادفت " النساسة " فى مطار (هثرو) بلندن فى العام الماضى .. شاهدت (البارانونيا) مجسمة أمامى فى هذا الكيان الضئيل.. الذى فخر طوال حياته بالتشبيق .. فهدمه .. ولم أستطع أن أمنع دمعة فرت من مقلتى .. ويظهر أن زوجتى الإنجليزية المسلمة لاحظت ، فمالت على ومسحت الدمعة بشفتيها .. وقالت لى : أوه .. إذن هى ؟! .. قلت : نعم هى التى قالت : لله فى خلقه شئون